Humanization of animals in Syrian children's stories (The traveling bird - the first flight) as a model

Baraa Muhamad*

(Received 16 / 7 / 2023. Accepted 20 / 8 / 2023)

□ ABSTRACT □

Humanization is the imposition of human characteristics on non-human beings, whether they are inanimate objects, animals, or other elements of nature, both tangible and intangible, mental.

Humanization is a very rich topic in the short story experience in general and in children's stories in particular. This study examines how animals are humanized in the children's story in the experience of Abdullah Abdul Qass Al-Suri and attempts to explain the reasons and motives for this trend.

Since the phenomena of living reality and its beings are a tributary of the narrative experience, and the storyteller uses them as material for his stories and tools to convey what is going on in his imagination and the inner beings of himself to his audience of readers, the humanization of these beings has a connection to the state of the writer and his literary message, and the animal character enjoys its distinct presence in the minds of children because of what it represents. It is a psychological factor that leads to the stability of information in its various forms, and from here came the importance of research by shedding light on the unique specificity that humanization enjoys at the level of text and the impact of this term on the special features and intellectual, artistic and educational standards of children's stories.

The research is a reading of narrative models based on analysis, through delving into the structure of the prose text studied, and examining the methods of artistic humanization that the storyteller Abdullah Abdul used in his stories. The research concluded that the humanization of animals reflected educational meanings, noble values, and hidden feelings that were simmering in the soul of Abdullah Abd.

Keywords: humanization, animal.

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Master's degree, Department of Arabic Language, Tishreen University, Latakia, Syria. baraa.muhamad@tishreen.edu**

أنسنة الحيوان في قصص الأطفال السورية
(العصفور المسافر – الطيران الأول) أنموذجاً

براءة محمد*

(تاريخ الإيداع 16 / 7 / 2023. قبل للنشر في 20 / 8 / 2023)

ملخّص

الأنسنة إضفاء صفات الإنسان على غير الإنسان سواءٌ أكان جماداً، حيواناً، أم غير ذلك من عناصر الطبيعة المحسوسة الملموسة منها وغير المحسوسة الذهنية.

والأنسنة موضوعٌ شديدُ الثراء في تجربةَ القصة القصيرة على نحوٍ عامٍّ وفي قصص الأطفال على نحو خاصٍّ، وهذه الدراسة تبحث في كيفية أنسنة الحيوان في القصّة الطفلية في تجربة عبد الله عبد القاصّ السوريّ وتحاول أن تبيّن أسباب هذا التوجّه ودوافعه.

ولما كانت ظواهر الواقع المعيش وكائناته رافداً من روافد التجربة القصصية، يتخذ القاص منها مادة لقصصه وأدواتٍ لنقل ما يدور في مخيّلته ومكنونات نفسه إلى جمهوره من القراء، فإنّ لأنسنة هذه الكائنات صلةً بحالة الأديب ورسالته الأدبية، والشخصية الحيوانية تتمتع بحضورها المتميّز في ذهن الأطفال لما تشكّله من عاملٍ نفسيٍّ يؤدِّي إلى استقرار المعلومة بمختلف أشكالها، ومن هنا جاءت أهمية البحث عبر تسليط الضّوء على الخصوصيّة المتفرّدة التي تتمتّع بها الأنسنة على صعيد النّص وتأثير هذا المصطلح على السّمات الخاصّة والمعايير الفكريّة والفنيّة والتّربويّة لقصص الأطفال.

والبحث قراءةٌ لنماذج قصصيةٍ تقوم على التّحليل، عبر التّعمّق في بنية النّصّ النثريّ المدروس، والوقوف على أساليب الأنسنة الفنية التي وظّفها القاصّ عبد الله عبد في قصصه. وتوصّل البحث إلى أنّ أنسنة الحيوان عكست معانيَ تربويةً وقيماً نبيلةً ومشاعرَ دفينةً كانت تعتمر في نفس عبد الله عبدً.

الكلمات المفتاحية: أنسنة، الحيوان.

حقوق النشر : مجلة جامعة تشرين– سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY–NC–SA 04

* **ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.** baraa.muhamad@tishreen.edu

مقدمة

مفهوم الأنسنة:

رغم تعدّد دلالات مصطلح الأنسنة في الفكر الحديث إلا أن غايتنا – هنا – تختلف عن تلك الدلالات وتقتصر على دلالةٍ منشودةٍ في الدّراسات العربيةِ الحديثة وهي إسباغ الصفات الإنسانية على ما ليس إنساناً. أو بمعنى آخرٍ (إعطاء الظواهر الطبيعيّة أو الأدوات والآلات الماديّة صبغةً إنسانيةً من الناحيةِ الوجدانية، كما يتّسع هذا التعريف ليشمل الحيوان وقد دخلت هذه المونسنات عالم القصة جنباً إلى جنبٍ مع الإنسان وتقوم بأدوارها الفنية في القصص بشكل مستقلٍّ أي بوصفها أشياء وحيوانات أو بمشاركة الإنسان لها بعد أن تأخذ صفات الإنسان كالنّطق والتفكير والفرح والتعاون وغيرها من الصفات التي يتطلبها الحدث القصصي أو يهدف إليها).[1]

فالأنسنة ظاهرةٌ أدبيةٌ يوظّفها الأديب القاصّ للتّعبير عن مشاعره عبر خلع صفات الإنسان على أشياء أخر، يحاكي فيها واقعاً يؤلمه، أو شوقاً يؤرّقه، أو غير ذلك من المشاعر، وعبر الأنسنة يضفي صفات الإنسان على غير الإنسان، ولا شكّ أنه عندما يخلع صفات الإنسان على الخارج فإنه يربط ذلك بمكوّنات أخرى بداخله ونفسيتهِ، وبذلك تتحوّل الجمادات والحيوانات إلى أقنعةٍ بشريةٍ رمزيةٍ تحمل دلالاتٍ ثرّةٍ.

والأنسنة بهذا المعنى ليست جديدةً في عالم القصّة الطّفليّة بل إنّ الأمر يضرب بجذوره في الماضي البعيد فهو قديمٌ قدم العلاقة بين الإنسانِ والحيوانِ نفسه. ويحضرنا في هذا السّياق كتاب "كليلة ودمنة" مثالاً ودليلاً على ما نذهب إليه والّذي يضمّ تراثاً غنيّاً في أنسنة الحيوان. هي أشبه بعملية إسقاطٍ يلجأ إليها الكاتب (فتتكلم الأشياء والحيوانات لتنطق القصّة بحكمتها أو تثبت قيمتها أثناء السّياق أو في الخلاصة حتى يكتمل السياق التربويّ أو التّعليمي، فالرّسالة هي شاغل المؤلف الأساسيّ وعلى حواشيها يقود عملية الخطاب القصصي)[2] بل إن تلك الحواجز والحدود بين عالمي الإنسان والحيوان في قصّة الطفل تذوب وتنصهر (لأن الكائنات والأشياء جميعاً يمكن للطفل أن يتعامل معها، وأن يقوم حوار بينها لأن الطفل لا يدرك هذا التعامل وهذا الحوار على نحو رمزي يفهمه الراشدون، بل على أنه واقع حدثٍ يمكن أن يحدث)[3] ومن خلال الأنسنة يستطيع الفنّان أن يدفع المتلقّي لإعادة النّظر بما كوّنه حول النص القصصيّ أوّل وهلةٍ فهو يجعل الطيور والأشياء والحيوانات، والأمكنة، وظواهر الطبيعة، كأيّ إنسانٍ، تتحرك، وتحسّ، وتعبّر، وتقسو حسب الموقف الذي أنسنت من أجله[4].

ولعلّ معظم الدارسين لا يختلفون في أن القصة من أهم ألوان أدب الأطفال، لما لها من تأثيرٍ بالغٍ في نفسيّة الطفل وتفكيره، فالقصة المتكاملة الجوانب تأخذ الطفل إلى عالمٍ مثيرٍ مليءٍ بالأحداث المتتالية للقصة، وهذا بدوره يسهم في تنمية مداركه ومخيلته ويزرع فيه مختلف القيم والمبادئ السّامية والفاضلة، وممّا لا شكّ فيه أيضاً أنّ القصّة وسيلةٌ تربويةٌ ناجحةٌ، لغرس ما يريده المجتمع من الطفل، ولتنمية قدراته ومواهبه، وبناء شخصيته بناءً متوازناً فهي تنمّي خياله، وتهذّب وجدانه، وترهف حسّه، وتدفعه إلى القراءة والاطلاع. ومن طبيعة الطّفل أن يضفي الخيال على الكائنات الحيّة الأخرى، كالحيوان مثلاً، فحبّ الطفل العفويّ للطّبيعة لا ينفصل عن شوقه للحوار معها لذلك يستهوي الطّفل أن تتكلّم الحيوانات ويستهويه تشخيصها في جوٍّ من الأسرار والاستغراب كما أن شوق الطفل لفهم الطبيعة تعزيزٌ لانتمائه

---

[1] **أحمد ناصر يوسف القصص الفلسطيني المكتوب للأطفال ط1، دائرة الثقافة 1998 ص 281**

[2] **عبد الله أبو هيف، أدب الأطفال، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1983 ص150**

[3] **عبد الرزق جعفر، أدب الأطفال، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1 دمشق 1989 ص62**

[4] **ينظر أحمد مرشد أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف ط1 الإسكندرية دار الوفاء 2002 ص7**

لها حيث يشكّل تشخيص الحيوان وأنسنته عنصر جذب لجمهور الأطفال فترى الحيوان في جميع حكايات الأطفال يتحدّث، يتألّم، يفرح، يقيم مع بني جنسه علاقات الإنسان بالإنسان، لا بل إن بعض الكتّاب جرّد الحيوان من ريشه وألبسه ثياب الفرسان، والملوك، وهنا لابدّ للكاتب من معرفة سيكولوجية الطفل وسيكولوجية الحيوان الذي يتحدث عنه فالحمار غبي، والثعلب محتال، والكلب وفي، والذئب مفترس، والنحل نشط، والغراب خائن وهكذا .....

أنسنة الحيوان في قصص الأطفال:

إن الدخول إلى مملكة الأطفال أمرٌ شائقٌ وشائكٌ في الوقت ذاتهِ، شائقٌ لأن عالم الطفولةِ مازال يستهوينا كباراً، ففي داخل كلٍّ منا طفلٌ يحبو، يلعب، تغريه الرّمال المكدّسة التي يصنع منها قلاعاً، والغوص في الطين، والجري وراء القطة والكلب و....، وشائكٌ لأنه يحتاج مهارةً في الولوج إلى مخيلة هذا الكائن الصغير بحجمه الكبير بفكره، إضافةً إلى حاجةٍ ماسّةٍ لمجموعةٍ من القيم التي ننشد نقلها إلى أطفالنا، وهي بالطبع قيمٌ أصيلةٌ نبيلةٌ تتبع من تراثٍ عربيٍّ، وتتكئ على حقائق معاصرةٍ تحيط بالطفل، ولا تتنافى مع قناعاته التاريخية الأساسية. إننا نريد له التواصل مع الفكر التي اعتنقها الآباء والأجداد، والتعايش في الوقت ذاته مع مفردات العصرِ الذي يعيشه وما فيه من تقنياتٍ وأساليبَ علميّةٍ حديثةٍ.

إن قراءةً متأنيّة لقصص الأطفال عند "عبد الله عبد" تجعلنا نلحظ التنوّع فيها بتنوّع مضامينها وتفاوت ما تحويه من فكر، وهي قصص مع كثير من الأعمار، وتسّد كثيراً من الحاجات النفسية للطفل، ولا سيما ما يظهر الصراع ويشبع الخيال. وقد كان الإنسان منذ طفولة جنِسه البشري شديدَ الشّغفِ بعالم الحيوان وذلك لأسبابٍ تتعلّق بإرضاء ذاته وإشباع فضوله العقلي وتطلعاته الفكرية، بل إن الخصائص الحيوانية أثارت اهتمامه في شكل كل حيوانٍ واستدعت ملاحظاته، وكثرت التساؤلات عنها في ذهنه، لماذا يختص كل حيوان بلونٍ معينٍ؟ ولماذا تمتلك بعض الحيوانات ذنباً دون الأخرى؟ ...

هذه التساؤلات وغيرها جعلت الإنسان في بحث دائم عبر العصور.

لم تكن قصص "عبد الله عبد" كغيره من القاصين مجرد تصوير للواقع، ولا مجرد عرضٍ ساذجٍ لشخص كاتبها، يلقي بها في لحظة انفعالٍ عابرةٍ، بل كانت قصصاً تتضح بطاقاتٍ جماليّةٍ ثرّةٍ تتضمّن غاياتٍ بعيدةً أخفاها "عبد الله عبد" في ثنايا قصصه واعياً أو غير واعٍ، وهنا يأتي دور القراءة التحليلية التي تثير الأسئلة. فالأديب النّاجح هو ذلك الفنان الذي يعرف فنّ التعامل مع المادّة بشكل يجعلها أقرب إلى عقل الطفل وقلبه. وهذا يتطلّب مقدرةً من الأديب الذي يغدو مصلحاً، مربّياً، مصوّراً .... في هذا السّياق كي يصل إلى عالم الطفولةِ ويلبّي احتياجاتها فيستنهض ويؤجج حواسّ الطفل وتطلّعاته ويستدرج فضوله نحو أمكنةٍ جديدةٍ يهيمن عليها الجمال والسّلام الملهم، ليخلق عوالم جديدةً سواءٌ أكانت واقعيّةً أم خياليّة يستطيع الطفل أن يدخل إليها بسلاسة واستمتاع، وهو يرتشف صوره ورموزه وشخصياته وطرائق حواره الممتعة القريبة أو اللصيقة بذائقة الطفل، يضع المؤلف إيعازاتٍ سريعةً لذهنيّة الطفل ذات نهجٍ تربويٍّ، يرسلها بطريقةٍ لا تضجر ذهن الطفل المتلقي.

في قصة "السلحفاة والدجاجة" يستعرض الكاتب من خلال الحوار الذي دار بين السلحفاة والدجاجة كذب الدجاجة وإصرارها على امتلاكها القدرة على الطيران كي يعوّد الطفل على الصّدق والابتعاد عن الكذب والتحلي بالتواضع وعدم نسبة مزايا لا يمتلكها الشّخص إلى نفسه، فيخاطب "عبد الله عبد" ذهن قارئه الصّغير وذكاءه من خلال دفعه إلى التساؤل عن عدم قدرة الدجاجة على الطّيران رغم امتلاكها للجناحين.

"قالت الدجاجة: كنت أطير في الأعالي فشاهدتك تسيرين وحدك في الطريق فقلت في نفسي: مسكينةٌ هذه السلحفاة إنّها تسافر وحيدةً وهكذا طويتُ جناحيّ ونزلتُ إليك كي أؤنس وحدتك"[5]

أما في قصة "القط المزيّف" فيعرض الكاتب لقضيّة مهمّة وهي ضرورة الحذر والحيطة من كل ما يدعو للشكّ والرّيبة وضرورة الأخذ بالأسباب لا بظواهر الأمور والكلام المعسول، فالدّجاجات رغم قناعتهن بشكل الهرّ (الشكل المزيّف للثعلب) إلا أنّهن وثقن بكلامه ولم يتعلّمن مما حدث معهنّ في مرّاتٍ سابقةٍ.

"ساورت الظنون الدّجاجات فمالت واحدةٌ على رفيقتها وهمست في أذنها: له صوت قطٍّ ولكن ليس له شكله تماماً وإن كان يشبهه في بعض النّواحي. قالت الدّجاجة: يا له من قطٍّ غريبٍ"[6]

تبرز في هذه القصة براعة الكاتب ومقدرته على السّبر والاكتشاف والغوص في أعماق قارئه الصغير دون الاستهانة بذكائه، وهي مقدرة تنم عن معرفة بسيكولوجية الطفل وسيكولوجية الحيوان الذي يتحدث عنه الطفل، فعبد الله عبد لايقدم من خلال قصّته السّابقة الثعلب مثالاً للألفة والتعاون بل يقدّمه مثالاً للخديعة والمكر فلا يخالف العرف الشعبي والمأثور الذي انغرس في ذهن قارئه الصغير.

في قصة "الخروف يقاتل" يتدرّج الكاتب في عرض الحوادث بدءاً من الخطر الّذي يداهم قطيع الخراف ممثلاً بالذئب الّذي يقدم على التهام خروف بشكل يوميّ، ويعود الكاتب ليبثّ كمّاً من التساؤلات في نفس الطفل ويحرّض ذهنه فهل يستطيع الخروف الذي يعدّ مثالاً للألفة أن يتغلب على الذئب المفترس القويِّ.

لا ينسى عبد الله عبد الأخذ بالأسباب واتباع أسلوب الإقناع فعلى الرغم من تحلي الخروف بالشجاعة إلا أنّ قراره في مواجهة الذئب لا يلقى اهتماماً من بقية القطيع بل على العكس من ذلك تماماً يسخر منه الجميع ويُتّهم بالغرور، وهنا يأتي دور الحكمة كقيمة أخرى رديفة للشجاعة يتحلى بها الخروف ويسعى الكاتب لزرعها في نفس قارئه، فالخروف فكّر جيداً بأنه يمتلك قرنين قويين يقابلان قوّة أنياب الذّئب، إنها المعادلة الصحيحة التي تؤدي إلى نتيجة صحيحة فالخروف لم يعتمد على الحظ أو على شيء لا يمتلكه بل شحذ قرنيه، وعمل على التخلّص من صوفه ووزنه الزائد، وتدّرب، وتمرّن ليحصل على جسدٍ قويٍّ ثم قرّر المواجهة فهي السبيل الوحيد للتغلب على المشاكل والتخلص من المخاوف. حين هجم الذئب في اليوم التالي كعادته على القطيع ليفترس خروفاً فوجئ بأمر غريبٍ. فقد برز من بين الأغنام خروفٌ رشيق الجسم قويُّ العضل حادُّ القرنين ووقف أمام الذّئب، ثم قال له:

– ارجع أيّها الّذئب إلى الوراء وأترك هذا القطيع.

فقهقه الذّئب وقال ساخراً:

– ابتعد عن طريقي أيها المسكين قبل أن أقضي عليك.[7]

كانت الأغنام تراقب المشهد وتستمتع إلى المحادثة التي تجري بين رفيقها الخروف والذئب.

"فقال الخروف:

– لن أتحرك من هذا المكان. ولن أسمح لك بعد اليوم بالاعتداء على رفاقي

[5] **عبد الله عبد، الطيران الأول، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1977م ، ص35**

[6] **المصدر السابق نفسه، ص 54**

[7] **المصدر نفسه ص 36**

فقال الخروف:

– لن أبتعد.

فهجم الذئب على الخروفِ، لكنّ الخروف تلقّاه بقرنه الأسود الحاد فجرحه في بطنه.

وعندما عاود الذئب الهجوم على الخروف نطحه الخروف بقرنه مرّةً ثانيةً حتى جرى الدّم من رأسهِ. وهكذا وقف الخروف يردّ هجمات الذئب وينطحه بقرنيه بقوةٍ في كلّ مرّةٍ حتى قضى على الذئب تماماً" [8]

لقد أعطت الحبكة في القصّة الغَلبة في نهاية الأمر إلى الخروف ليتثبت في نفس الطفل المتلقي مغزى الإرادة والتصميم اللذين يصنعان العجائب إضافة إلى الوعي الذي تصنعه التجارب والخبرات فالخراف صفّقت ورقصت ليس فقط بسبب انتصار رفيقها الخروف على الذئب ولكن لأنها اكتشفت أنها تملك قروناً سوداء تستطيع أن تقضي على كل الذّئاب التي قد تهاجمها في المستقبل" [9]

في قصّة "الدوري" يعزّز الكاتب قيمةً نبيلةً جداً وهي المواطنة وحب الوطن ورفض الغربة من خلال الدوري الذي يرفض مغادرة البلاد مع الطيور المهاجرة والسنونو رغم محاولاتها الجهيدة لإقناعه ورغم الخطر الذي أحاط به من خلال إصابة ذيله بطلق ناري إلا أنه يرفض ترك وطنه، ويبقى سبباً في منح الأطفال الفرح واستمّر في الزقزقة ومنح المحبّة للأطفال ولو من بعيد.

"وماتزال الدوري تقف حذرةً على أسطحة البيوت وفوق الأشجار والمداخن تلتفت في كلّ الاتجاهات، وتنتظر الوقت الذي لا يصوّب فيه الناس بنادقهم إليها لتدخل إلى أسّرة الأطفال لإيقاظهم من النّوم ولتأكلَ الحبّ من أكفّهم الصغيرة" [10]

في قصة "النمل يتعاون" لا ينسى الكاتب تذكير الأطفال بهذه القيمة العظيمة "التعاون" وضرورة التكاتف لبناء مجتمع سليمٍ إضافة إلى قيمة أخرى وهي عدم اليأس وضرورة تكرار المحاولات للوصول إلى الهدف والتمسّك به فالنملة حاولت أن تسحب حبّة الحنطة لأكثر من مرّة وكانت تبحث عن حلّ واهتدت إلى ضرورة الاستعانة بصديقة ثمّ اثنتين حتى تأتي جماعة النمل بأكملها كي تعاون هذه النّملة ويتكلّل العمل بالنّجاح في إيصال حبة الحنطة إلى المكان المطلوب"

وقالت نملةُ ثانية:

– نعم كلما ازداد المتعاونون من أجل إنجاز شيء سهل عليهم إنجازه ذهبت إحدى النملات الثلاث تبحث عن نجدة فرأت جماعة من النمل قالت:

– أيتها النملات الصّديقات هناك حبّة حنطة رائعة فهيّا نتعاون على نقلها إلى مخزن الحبوب وستكون لنا جميعاً.

قالت جماعة النمل:

نعم هيا نتعاون على نقلها أيتها الصديقة.

ومضت جماعة النمل إلى حبّة الحنطة فحملتها بسهولة ويسر إلى مخزن الحبوب. ومن هناك انطلقت الجماعة سعيدة تبحث في الأرض عن رزقٍ جديدٍ" [11]

---

[8] عبد الله عبد العصفور المسافر، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي 1975م ص 37

[9] المصدر نفسه ص37

[10] عبد الله عبد، الطيران الأول، دار الأنوار للطباعة، دمشق 1977 ص 68

[11] المصدر السابق نفسه ص 108 – 109

يقدم عبد الله عبد قيمة التعاون في صور موحية يرسمها بلغةٍ شفافة فالتعاون وراء كل عمل مثمر والعمل الذي يخلق في النفس راحةً وطمأنينةً وأمناً هو عملٌ جماعيٌ تضافرت فيه جهود الكثيرين.

الحدث في القصة بسيط ولكنه ذو دلالات غنيةٍ تبعاً لطريقة ترتيب عناصره، وهذا ما يجعل بساطته من نوع السهل الممتنع، لأن القاص أجاد اختيار العناصر أولاً ثمّ أجاد ترتيبها من خلال الحبكة.

هذه القيمة يؤكدها الكاتب مرّة أخرى في قصّته "السنونو" حيث يظهر الكاتب أهمية التعاون وضرورته من خلال تعاون عدد من عائلات السنونو في بناء أعشاشها وتبدأ طيور السنونو ببناء عشّ للعائلة الأولى يستغرق معها نهاراً كاملاً، ثم تعاود رسم الخطط من جديد لبناء منزلٍ للعائلة الأخرى في اليوم التالي وهكذا حتى تمتلك كلّ عائلة مسكناً خاصّاً بها.

لقد قدم "عبد الله عبد" قيمتين في قصّته هما: عودة طيور السنونو في الرّبيع لبناء أعشاشها وهي قيمة تعليمية ووجوب التعاون وهي قيمة تربوية.

في قصة "ملك الغابة الأناني" يحرص الكاتب على ألا يمس ذائقة الطفل بأذىً فيقدم له الشخصيات بالصورة التي اعتادها فالأسد قويّ وملك الغابة والثعلب مكّار غدّار، أمّا نقار الخشب فلطيفٌ ودود.

تجري أحداث القصّة وسط غابة حيث يشي الثعلب بنقار الخشب إلى ملك الغابة الذي يقوم بدوره بإرسال اثنين من الحرس البواشق للقبض على نقار الخشب بتهمة قطع أشجار الغابة، وإنزال أقصى العقوبات به.

تعرض القصّة لقيمتين معاً قيمة سلبية هي الأنانية وحب الذّات التي يمثّلها الملك الأسد وقيمة ثانية إيجابية وهي الذكاء والحكمة في اتخاذ القرار المناسب وقت الأزمات إذ على الرغم من صغر حجم نقار الخشب مقارنة بملك الغابة والباشقين فقد استطاع بذكائه إيجاد حل للمأزق الذي وقع فيه.

"قال السبع:

– إنّ حياتك لا تهمّني. وما يهمّني أن تبقى الغابة لأجد فيها كفايتي من الغزلان. إن وجود الغزلان في الغابات ضروري من أجل ملوكها لأن الغابة بلا ملك لا معنى لها.

قال نقار الخشب للباشقين:

– انتظراني هنا حتى أودّع فراخي.

ثمّ دخل التجويف الذي كان فارغاً لأن أوان التفريخ لم يجئ بعد.

انتظر الباشقان خارجاً، فقد كان الشّقّ ضيقاً لا يسمح لهما بالدّخول وكان نقار الخشب قد رسم خطّةً للهرب من الحارسين منذ البداية. وهكذا ما أن دخل التجويف حتى راح ينقر قلب الشجرة من الجهة المقابلة استطاع نقار الخشب أن يفتح ثغرةً تسلّل منها في غفلة عن أعين الباشقين اللذين بقيا ساعاتٍ طويلة ينتظران خروج الطائر" [12]

في قصة "الكل يعمل" يربط الكاتب ربطاً ذكياً بين طبيعة الحيوان الجسدية والعمل المرتبط به ويقدم كل ذلك من خلال حبكة تتعاظم فيها الأحداث لتصل كل من شخصيات القصّة الكلب، الحمار، الثور إلى نتيجة يقررون فيها الهرب من الأعمال الموكلة إليهم والبحث عن جديد وفي نهاية المطاف يصل الجميع إلى نتيجة مفادها أن كلاً منهم خلق لأداء مهمةٍ معيّنةٍ ولا يستطيع أن يقوم بغيرها. وفي الليل من اليوم نفسه اجتمع الحمار والكلب والثور وراحوا يبحثون في أعمالهم الجديدة فقال الكلب:

[12] **عبد الله عبد، الطيران الأول، دار الأنوار للطباعة، دمشق 1977م ص 17–18–19**

– آخ، إن ظهري يؤلمني أشدّ الألم ورقبتي وأضلاعي محطّمة من عدّة الحراثةِ التي شددت إليها. إنني لم أخلق لمثل هذا العمل، وقال الحمار الذي كلف بأعمال الكلب:

أمّا أنا فقد بُحّ صوتي وتعبت قوائمي من كثرة الجري هنا وهناك وكلّت عيناي من التفرّس في الوجوه للتمييز بين اللصوص وغير اللصوص. وقال الثور:

– ويلي ماذا فعلت بنفسي؟ فأنا خلقت لشقّ الأرض وجر الأثقال ولكن ظهري لم يخلق لركوب العيال. إنني أشعر بالمهانة من هذا العمل الذي أسند إليّ والحقيقة أنني لم أخلق لهذا العمل" [13]

يثير الكاتب من خلال القصة السابقة عواطف وانفعالات الطفل إضافةً إلى إثارته العمليات العقلية المعرفية كالإدراك والتخيل والتفكير فيساعده في فهم نفسه وعالمه والطبيعة من حوله ويزرع قيمة تربوية مهمّة في نفسه وهي القناعة وضرورة فهم الشخص لإمكاناته التي يمتلكها والمهمة التي خلق لأدائها فضلاً عن القيمة التعليمية من خلال تعريفه بأنواع هذه الحيوانات الكلب، الحمار، الثور، ووظيفة كل منها التي تتناسب وجسده في قصة "البطة الثقيلة" يستفزّ عبد الله عبد عقل قارئه الصغير بدءاً من العنوان ويدفعه للتساؤل حول سبب كون البطة ثقيلة وما أثر ثقل وزنها عليها؟ تبين القصة قيمة العمل والنشاط بعيداً عن الراحة والكسل فالبطة تعيش في إحدى البحيرات التي يبدأ ماؤها بالتناقص تدريجياً الأمر الذي يقلق البطة ويدفعها للبحث عن حلّ والذي يكمن في انتقالها إلى مكانٍ جديد فيه ماءٌ وفير وهنا تبرز لحظة التأزّم فالبطة لا تستطيع الطيران رغم امتلاكها الجناحين والسبب أنها اعتادت حياة الراحة والكسل ولم تستعمل الجناحين من قبل ووزنها ثقيل ورغم تقديم العصفورين المساعدة من خلال تعاونهما على حملها إلّا أن وزنها الثقيل يحول دون تنفيذ الأمر.

وفي قصّة من يحبّ أكثر يبث عبد الله عبد حقيقة مفادها أنّ الأمانة صفة يجب أن يتحلى بها كل شخص من خلال استخدام شخصيات الهر والكلب والقاضي حيث ينشب خلاف بين هرٍّ وكلب حول من يحبّ الآخرين أكثر ويقدم كل منهما حجة للقاضي وهنا يجلب القاضي عصفوراً ويخبر كلاً من الهر والكلب بمحبته الكبيرة للعصفور ويوكل إليهما مهمة حراسته ريثما يعود من قضاء بعض الأعمال، يقف الكلب والهر في جانبٍ من الحديقة كل من جهة والعصفور يتواثب هنا وهناك وبعد مرور بعض الوقت يدعي الهر بسماعه طرقاً على الباب ويطلب من الكلب الذهاب لينظر من الطارق ويتعهد الهر برعايته العصفور وحراسته وما هي إلا دقائق معدودة حتى ينقض الهر على العصفور ويجهز عليه غير مبالٍ لكونه ائتمن عليه.

لا يخفى على عبد الله عبد براعته في انتقاء الطبائع والسلوكيات الحيوانية المنتسبة لكل نوع من الحيوانات فالكلب معروف عنه الوفاء والأمانة والإخلاص على خلاف الهر الذي يتسم بالمكر ونكران الجميل والأمانة.

تثبت قصة الأرنب الشجاع قيم الشجاعة وتنمي روح البطولة والمغامرة لدى الطفل وتحكي القصة عن أرنبين ابتاعهما رجل إلى بيته ووضعهما على سطح الدار خوفاً من أن يخرجا الأزهار والنباتات ومن ثمّ تضع الأرنبة ثلاثة فراخ وكان من عادة الرجل أن ينسى حمل الطعام إلى الأرنب على السطح بسبب مشاغله، مما جعل الأرانب تشعر بالجوع وبدأ الأرنب الأب والأرنب الأم يقرضان خشب القنّ الذي يأويان إليه. وذات يوم اشتد الجوع كثيراً على الأرانب فعمد أحد الأرانب الصغيرة وهو الشجاع بينها إلى التحرك وتفحص جدران السطح حتى عثر على الدرج فأخبر الجميع باكتشافه وطلب إليهم مرافقته للبحث عن الطعام لكنهم رفضوا بحجة أنهم لا يعرفون ماذا يخبّأ لهم عند أسفل الدرج. يبدأ الأرنب

[13] **عبد الله عبد، الطيران الأول، دار الأنوار للطباعة، دمشق 1977م ص46–47**

بنزول الدرج إلى أن يعثر على حديقة خضراء أما البيت فيها كل أشكال وألوان النباتات والأزاهير ويتمنّى لو كان أفراد العائلة برفقته ليشاركوه هذه الوجبة الشهيّة ويفكّر أن يحمل إليهم بعض الطعام لكنه يقول:

"لو كانوا شجعاناً حقاً وتركوا السطح، فنزلوا إلى الحديقة لتمتّعوا بوجبةٍ شهيةٍ لكنهم وأسفاه آثروا البقاء والاسترخاء في الظل على المخاطرة فتعيّن عليهم أن يظلوا جياعاً"[14]

الخاتمة:

إن حضور الأنسنة في أدبٍ ما دليل صلةٍ قائمة بين صاحبه وما حوله، إذا يرتفع بها غير البشري إلى مستوى البشري، عند اكتسابه صفاتٍ إنسانية ليست له في الحقيقة. وعبد الله عبد أنسن الحيوان غير العاقل، فأكسبه صفاتٍ، ومشاعر إنسانية خارجة عنه، ليثير نزعاتٍ كريمةٍ في نفس قارئه الصغير، ويعمل على بث العواطف النبيلة، وطبع الخلق الفاضل، والذي يدفع الطفل إلى حبّ الخير، فمفرداته التي ينتقيها لها أهداف اجتماعية ونفسية تبرز القيم الحميدة، فتشعر الطفل بالانتماء للأسرة والمدرسة والوطن، وهذا هو الهدف الأول من كتابته القصة الطفيلية. لقد لعبت الشخصية الحيوانية في قصص أديب الأطفال عبد الله عبد دوراً مهماً بالنسبة للطفل، حيث يتوحّد معها ويتمثل كثيراً من قيمها وسلوكها وقد قدمها الكاتب بأسلوبٍ بسيطٍ بعيدٍ عن التعقيد، سلس، عذب، شفاف لا يخلو من الشعور الإنساني النبيل والشاعرية، أسلوب يتناسب ومستوى إدراك الطفل ويسعى إلى تحريره من حدود واقعة لينطلق به آفاق أرحب وعوالم جديدة من خلال الخيال.

لقد كان عبد الله عبد فناناً في التعامل مع مادته فجعلها قريبة إلى عقل الطفل وقلبه فكان قاصاً، مربّياً، مصلحاً، مصوّراً .... فهو يلجأ إلى تعليم الطفل بطريقة الإيحاء من خلال استخدامه للشخصيات الحيوانية فيعلمه حسن التصرّف والمشاركة والبعد عن الأنانية والسخرية و ....

لقد كان الحوار هو البنية التنويعية الأكثر حضوراً باعتباره منهجاً للتفكير وقد لعبت البساطة الشديدة في التعبير، والعبارات المكثّفة، والاعتماد على الشاعرية، كنسيج للقصة في كثير من الأحيان، دورها في رسم الشخصيات فجاءت قصصه لتشبع حب الاطلاع لدى الطفل، والمغامرة وتحرره من النزعة الفردية والتمحور حول الذات، فصوّرت له جمال الحياة كي يقبل عليها مبتسماً مستبشراً.

إن فقدان الأمل في الكبار نتيجة المصائب التي اجتاحت الأمة العربية، جعل عبد الله عبد يرى أنّ لزاماً عليه التحول إلى هذا الجمهور الكبير الذي يمكن أن يزرع فيه بذور الخير والعدل والحب والحق والجمال، هذا الجمهور هو الشباب الذي سيملأ الساحة غداً أو بعد غد.

[14] **عبد الله عبد، العصفور المسافر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي 1975م ص83**

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

أعمال القاص عبد الله عبد:

1- – العصفور المسافر، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1975م

The Traveling Bird, Publications of the Ministry of Culture and National Guidance, Damascus 1975

2- الطيران الأول، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق 1977م.

First Flight, Publications of the Arab Writers Union, Damascus 1977.

ثانياً المراجع:

3- أبو هيف، عبد الله، أدب الأطفال، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1983م

Abu Haif, Abdullah, Children's Literature, Publications of the Arab Writers Union, Damascus 1983

4- جعفر، د. عبد الرازق، أدب الأطفال، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1 ، 1989م

Jafar, Dr. Abdel Razeq, Children's Literature, Publications of the Arab Writers Union, Damascus, 1st edition, 1989 AD

5- مرشد، أحمد، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، ط1، الإسكندرية، دار الوفاء، 2002م

Murshid, Ahmed, Humanizing the place in the novels of Abd al-Rahman Munif, 1st edition, Alexandria, Dar al-Wafaa, 2002.

6- يوسف، أحمد ناصر، القصص الفلسطيني المكتوب، للأطفال، ط1، دار الثقافة، 1988م

Youssef, Ahmed Nasser, The Palestinian Written Stories for Children, 1st edition, Dar Al Thaqafa, 1988.